



سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

الْحُمَايُونُ وَقَلْعَةُ مُمْبَاسَا

العدد التاسع
الطبعة الثالثة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يعود الفضل في فكرة تجميع تفاصيل حياة المؤرخ محمد بن عبد الله الذي اكتسب شهرة في تسجيل الأحداث التاريخية ، مثل تاريخ العقيدة ، الى صديقي المرحوم الشيخ الأمين بن علي المزروعى ، الذى اقترح على الفكرة وتحمل مشقة تجميع البيانات من مصادر مختلفة ، ولا يهدف هذا الكتيب الى سرد تاريخ العقيدة فحسب ، بل يهدف أيضا الى الحفاظ على الشعر والأغاني المتعلقة به الى جانب مآثره .

وبالرغم من أن الكثير من مخطوطات الشعر السواحلى مدون ، غير أن عددا من الأبيات التى احتواها هذا الكتاب لم تكتب من قبل ، ولحسن الحظ فان بعض الذين عاصروا تلك الفترة مازالوا يتذكرون الأحداث التى ترتبط بهذه المنظومات ، وقد ساعد الأسلوب التقليدى المتبع فى معظم هذه المنظومات على سهولة حفظها وتذكرها .

وتعتبر منظومة « أوتنزى » المذكورة فى نهاية هذا الكتيب تعبيرا صادقا عن الحدث كله ، وبالرغم من أنها لا تعتبر من روائع الأدب فانها تستحق هذه المكانة الخاصة فى تاريخ الأدب السواحلى حيث إنها تظهر ما للعقيدة من أثر

على يد أحد المؤلفين المعاصرين . وقد تم تجميع معظم أبيات هذه القصيدة من أحد مؤلفي الأغاني في « تاكونجو » ويدعى « ماتوانا واسوبيا » كما تم استكمال باقى الأبيات من « الشيخ جمعة بن على باغوزى » وهو أحد الرجال المشهورين في ممباسا بدقته في جمع أكبر عدد من المؤلفات الأدبية .

وتجدر الإشارة الى أن الشيخ جمعة قد زامل محمد بن عبد الله في حصن ممباسا ، وكانت له هو الآخر تجربة مع المشاكل التى نشأت هناك في ذلك الحين . وقد أفادنا ذلك كثيرا في تسجيل ذكرياته عن الأحداث التاريخية المدونة في « الأتنزى » ، هذا بالاضافة الى ما قدمه لنا من المنظومات التى جمعها من الشعر التقليدى .

ولا يفوتنا أن ننوه بالمساعدة التى قدمها الشيخ « عبد الكريم بن تلامس » المشهورة باسم « باعبدى » والمعروف بموهبته في قوة الذاكرة .

وأخيرا فإننا نوجه الشكر لكل هؤلاء الأصدقاء وكل الذين ساعدوا في اخراج هذا الكتيب ، والذين رحلوا عنا للأسف ،

كما نقدر بطل اجلال واحترام تلك الذكريات ، وجدير بالذكر
أنه بمقارنة الأبيات التي جمعها أصحاب تلك الذكريات من
المخطوطات التي كتبها الشيخ « أيوب » فإنه يتضح لنا مدى
صحة تلك الروايات وأهمية الاحتفاظ بتلك الأبيات لفترة
طويلة ، خاصة اذا علمنا أن الفارق الزمني بين السجلين يبلغ
حوالي نصف قرن •

شرقى افريقية من الأزمنة الأولى (١)

من النادر أن تجسد في العالم مناطق عانت من الاستعمار أكثر مما عانى ساحل شرقي إفريقيا ، فقد احتل الآشوريون والكلدانيون والمصريون والفينيقيون والعرب والبرتغاليون هذه البلاد في أزمنة مختلفة ، وما زالت آثار احتلالهم باقية في عادات وتقاليد المنطقة الساحلية ، الى جانب آثارهم في المستوطنات التي عاشوا فيها في تلك الأحقاب .

فشعار القوة عند الآشوريين ، القرن ، وهو موجود في جزيرتي (لامو) و (بيته) ، كما أن سفن « الداو » في شرقي إفريقيا تعد امتدادا للسفن الشراعية السومارية ، والسفن ذات الأشرعة المثلثة تعتبر تطويراً للسفن ذات الأشرعة المربعة لقدماء المصريين ، كما أنه مازالت تمارس حتى الآن في شرقي

(١) يعكس هذا الفصل الإدارة المحاية السائدة وقت كتابته ، كما يتضمن بعض المغالطات والأخطاء التي تم تصحيحها في الحواشي . ويتضمن بعض الأحداث التي تعتمد على التخمين أو الحدس ولم يتم اثباتها بسند تاريخي أو أثرى فمثلا لا يوجد ما يثبت أن الآشوريين أو الكلدانيين أو الفينيقين قد احتلوا ساحل شرقي إفريقيا ، كما أن شعار القرن رمز القوة لا يقتصر على حضارة الآشوريين .

افريقية تقاليد قدماء المصريين وللكلدانيين فيما يتعلق بطقوس
الديانات والسحر والتعاويذ •

وقد أبحر الفينيقيون حتى ميناء « سفالة » ، وهو ميناء
منطقة « أوفر » ، كما وصل الهندوس في رحلات تجارية الى
شرقى افريقية ، وتكشف بعض العملات وقطع البرسولين عن
أن السفن الصينية أيضا وصلت هي الأخرى الى شرعى
افريقية في رحلات تجارية •

غير أنه من الجدير بالذكر أنه لم يكن لتلك الحضارات
المختلفة أثر في تطوير الساحل الشرقى لافريقية كما كان
للغرب • فقد ظل العرب يحكمون أجزاء كبيرة من القارة
الافريقية حتى وصول للغزو الأوروبى الذى بدأ بالبرتغاليين ،
ولكن بقى أثر العرب واضحا حتى اليوم على كافة الأجزاء
الشرقية والوسطى من افريقية •

غفى الأزمنة القديمة أبحرت الأساطيل العربية الى شرعى
افريقية ، إما بهدف الغزو أو بهدف التجارة ، حيث كانوا
يقلعون في رحلاتهم الى شرعى افريقية في فصل الرياح الموسمية
الشمالية الشرقية ، ويعودون الى الجزيرة العربية مع اتجاه
الرياح الموسمية ، وقد كتب أحد المؤرخين عن ساحل شرعى
افريقية عام ٦٠ بعد الميلاد ، فذكر بأن القيادات التى كانت

تحت سيادة الدولة العربية والذين كانوا يحكمون تلك البلاد في هذه الفترة والعرب من موزا (مدينة مخا في اليمن) كانوا يتاجرون ويستقرون على الساحل ، كما أشار الى السفن والقوارب التي كان يتم صنعها من جذوع الأشجار ، وشباك الصيد التي تشبه السلة المستخدمة في هذا العصر ، والتي يمكن مشاهدتها حتى الآن •

وقد كان لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي آثار هامة على ساحل شرقى افريقية ، حيث بدأ تسجيل تاريخ المنطقة ، وبدأ بناء امبراطورية عربية كبيرة •

ففى عام ١٥ بعد الهجرة (٦٣٦ ميلادية) عين عثمان بن العاص حاكما على البحرين وعمان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وإن كان من المعروف أن الخلافة على عمان ظلت خلافة اسمية حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، في الفترة ما بين ٦٥ — ٨٦ هجرية (٦٥٥ — ٧٠٦ ميلادية) ففى عهد هذا الخليفة أرسل حاكم العراق الشهير ، الحجاج بن يوسف الثقفى ، جيشا كبيرا على رأسه أفضل اللوآت لاختضاع عمان لحكمه ، وانهزمت القوات العمانية في ذلك الحين بقيادة سليمان وسعيد بنى الجلندى ، وفرا مع عائلتهما يتبعهما بعض أفراد قبيلتهما ، واستقروا في أرض الزنج ، حيث

كان هذا الاسم يطلق على ساحل شرقي افريقية في ذلك الوقت ، وظهرت بعض المستعمرات العربية الأخرى في هذه الفترة ، حتى انه عندما وصل البرتغاليون عام ١٤٩٨ ميلادية وجدوا أن امبراطورية الزنج قد تكونت (١) .

ويعتبر تاريخ شرقي افريقية من عام ١٤٩٨ حتى عام ١٧٣٠ ميلادية سجلا للصراع على السيادة بين البرتغاليين من جانب ، وبين أئمة وحكام عمان من جانب آخر (٢) . فقد هبط « فاسكو دي جاما » في ممباسا في ابريل عام ١٤٩٨ ، وتم استقباله بحذر وتخوف ، غير أن الترحيب به في ماليندي كان تاما ، وقد كان حاكمها على عدااء مع حاكم ممباسا ، واستغل البرتغاليون هذا الصراع الداخلي وقرروا بناء امبراطورية لهم في شرقي افريقية .

ويعزى عدم الترحاب بهم في ممباسا الى ألوان الذهب التي عانت منها المدينة على يد « بدر والفارسي كابرل » عام

(١) لم تتكون ابدا امبراطورية للزنج ، فقد كانت كل مستعمرة من المستعمرات العربية على ساحل شرقي افريقية مستعمرة مستقلة .

(٢) كان اول تدخل حقيقي لسلطان عمان على ساحل شرقي افريقية عام ١٦٥٢ م .

١٥٠٠ م ، وأيضاً لما حدث في مدينة (خيلوا) الدولة الحليفة لمباسا . ومنذ ذلك الحين وحتى القرن الثامن عشر كانت ممباسا كما جاء في قول سير تشارلز ايليوت مركز الصراع الذى غالبا ما كان يتم بأساليب الحرق ، ولا توجد مدينة في العالم حوصرت ونهبت وحرقَت مثلما حدث لمباسا .

وجاء بعد ذلك بست سنوات « فرانسيسكو دالميدا » أول نائب ملك البرتغالى للهند ، جاء لينهب ممباسا (١) ، وضعت قوة كل من ممباسا ، وكيلوا ، ولامو ، وبراولا لفترة ، غير أن ممباسا لم تهدأ لفترة طويلة ، ففي عام ١٥٢٨ هاجمها « نوفودا كونهما » حيث أحرقتها واستولى عليها بعد حصار دام أربعة شهور (٢) .

واستمر حكم البرتغاليين بعد ذلك لمدة خمسين عاما في شرقى افريقية مع وجود بعض الاضطرابات البسيطة .

(١) لم يتم نهب مدينة ممباسا على يد كابرل عام ١٥٠٠ ، فقد كان أول نهب لمباسا على يد فرانسيسكو دالميدا عام ١٥٠٥ .

(٢) في الواقع تم حرقها بواسطة البرتغاليين بعد أربعة اشهر من الاحتلال .

وقرب نهاية القرن السادس عشر خضعت البرتغال لحكم إسبانيا (١) ، الى عام ١٦٤٠ م حيث ضعفت قوة كل من البرتغال وإسبانيا ، الأمر الذى شجع الشعوب الخاضعة لهما على الأمل فى التحرر .

ففى عام ١٥٨٥ نجحت ممباسا بمساعدة السلطان التركى « أمير على بك » فى طرد البرتغاليين . غير أنهم عادوا مرة ثانية بمساعدة إحدى القبائل الوطنية المعروفة باسم « بلزيمبا » وهاجموا ممباسا ، وهزموا على بك ، ثم استداروا على قبيلة بازيمبا وتمكنوا من دحرها بمساعدة ألوازيمبو وفكر البرتغاليون فى ذلك الوقت فى ضرورة تقوية وجودهم العسكرى فى شرقى افريقية ، وانشاء حامية عسكرية لهم فى ذلك المكان ، حيث أصبح عليهم مواجهة خطر السفن الانجليزية والهولندية الى جانب مواجهة الاضطرابات فى ممباسا نفسها ، وقد بدأت هذه السفن تقوم بزيارات متكررة لموانئ الساحل الشرقى لأفريقيا ، فبدأ البرتغاليون فى انشاء قلعة ممباسا مستخدمين الأحجار الجاهزة من البرتغال ، وقد وضعوا لهذه القلعة نفس تصميم قلعة « جون بابتست كيرأتو » وقد تم بناء القلعة

(١) خضعت البرتغال لحكم إسبانيا فى الفترة من ١٥٨٠ حتى ١٦٠١ م .

على صخور مرجانية طبيعية ، وتم حفر خندق مائى حولها ،
وتم الانتهاء من بنائها خلال عامين تقريبا (١) .

وكان يحكم ممباسا فى ذلك الوقت شيخ « بن هشام »
الملقب باسم « شيخ مقيتا » ، وبعد وفاته عين البرتغاليون مكانه
حاكم مالىندى واسمه « أحمد » الذى خلف السلطان محمد ثم
السلطان حسن ، وقد تعارك هذا الحاكم مع البرتغاليين ،
وفر ، فخلفه ابنه يوسف الذى تلقى تعليمه فى « جوا » وقد
اعتنق الديانة المسيحية ، ويقال انه أصبح شيخا فيما بعد
عام ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ م) وتوفى فى جدة بعد عشر سنوات .
وجدير بالذكر أنه فور توليه السلطة قام بذبح البرتغاليين
المقيمين فى الحصن وأنشأ لنفسه حكما مستقلا ، غير أنه فى
نفس العام تغلب عليه « فرانسيسكو دامورا » وفر بعد ذلك
الى الجزيرة العربية ، ثم أعاد البرتغاليون بناء القلعة .

وتسجل النقوش على بوابة تلك القلعة الوحشية والقسوة

(١) حصن يسوع مبنى من الاحجار المرجانية ، ولم تستخدم
الاحجار البرتغالية وقد بدأ العمل فى بناء الحصن عام ١٥٩٣ م .

• اللتين مارسها البرتغاليون في ذلك الحين (١) •

(١) قتل شيخ بن هشام من جانب « سيجو » خلال إحدى المعارك وذلك بتاريخ ١٥٩٢ أى قبل احتلال البرتغاليين لمباسا . وكان أول سلطان لمباسا من سلالة مالىندى هو السلطان أحمد الذى خلف السلطان حسن والذى قتل عام ١٦٤١ بتمريض القائد البرتغالى ، وتبعه أخوه محمد ، غير أنه لم يعتبر أى منهما حاكما شرعيا ، وفى عام ١٦٣١ جاء السلطان محمد يوسف ابن السلطان حسن والمعروف باسم (دوم جيرونيمو تشينجولا) والذى ذبح البرتغاليين عام ١٦٣١ وبعد هزيمتهم أرسل بعثة لاستعادة الحصن (ديسمبر ١٦٣١ — مارس ١٦٣٢) ثم غر إلى الجزيرة العربية وتوفى في جدة عام ١٦٣٨ .

ثم سرد تاريخ مباسا في عهد البرتغاليين بواسطة (جوستاس ستراندز) في أحد مؤلفاته المنشورة في برلين عام ١٨٩٩ والتي أعيد نشرها باللغة الانجليزية بواسطة (جين أوف ووك ورك) مع ملاحظات لنجى اس كير كمان . وعنوان المؤلف عهد البرتغاليين في شرق افريقيا ١٩٦٨ .

ويمكن ترجمة النقوش المذكورة كالتالى : فى عام ١٦٣٥ نصب فرانسيسكو دى سيكساس البالغ من العمر عاما حاكما لمدة أربع سنوات لهذا الحصن وأعاد بناءه وأضاف إليه غرفة الحراسة وأخضع سكان الساحل لصاحب الجلالة ، حيث كان السكان فى حالة غضب وثورة ضد الملك الطاغية ، كما أخضع كلا من ممالك (أوتوندوا) (وماندرا) و (لوزيوا) و (جاك) لحكم صاحب الجلالة وقد أنزل العقوبة بنفسه على كل من (بته) وسيو التى كانت غير متوقعة فى الهند ، وهدم حواط

وفي عام ١٦٩٤ لم يعبد السكان يطبقون تحمل ضغط وقسوة وطفيان حكامهم ، فطلبوا المساعدة من الامام سلطان بن سيف : امام عمان (١) •

وبعد خمس سنوات من الحرب استولى الامام على الحصن وعين « محمد بن مبارك » حاكما على البلاد ، غير أن البرتغاليين تمكنوا من اخراج العرب ، واستمر الصراع حتى عام ١٦٩٨ ، عندما استعاد العرب الحصن •

المدن . كما عاقب « المسيو ستجلوز » وادب البببا واعدم على مسؤوليته كل الحكام المتمردين وقيادات المواطنين ، ودفع الجزية كاملة لصاحب الجلالة ، لذا فقد تم منحه لقب فارس القصر الملكي مقابل خدماته الجليلة لصاحب الجلالة ، وذلك بعد ان كان قد تم منحه وساما آخر مقابل خدماته الأخرى وأعطاه منحة سنوية ٥٠ « ملريس » عملة نقدية برتغالية ، ومنحه السلطة على « جافانا باتان » لمدة ستة أعوام والسلطة على « بلجسدن » لمدة أربعة أعوام وأعطى الحق ليعيش فيها ما يشاء طوال مدة حياته وفي حالة وفاته .

خلال حكم بترودى سيلفا عام ١٦٣٩ .

(١) لم يستول العمانيون على الحصن في ذلك الوقت ، والواقعة المذكورة ربما تعنى نهب البرتغاليين للمدينة في إحدى الغارات عام ١٦٦١ غير أن وقوع الحصن في أيدي العمانيين كان في ١٣ ديسمبر ١٦٩٨ بعد حصار دام عامين وتسعة أشهر .

وفي عام ١٧١١ م قام « سيف بن سلطان الأول » المعروف باسم « قيد الأرض » وامام عمان ، بتعيين ناصر بن عبد الله أحد أفراد عائلة المزروعى حاكما لمباسا ، غير أن جنود ناصر قاموا باعتقال قائدهم وتعيين أحدهم واسمه « سيس رمب » قائدا لهم ، غير أن كبار رجال ممباسا مثل « مويى نجوتى بن مونيلاجو » ومويى مول بن حاجي « وموالم ندو بن مويشاني » والشيخ ابن أحمد أعلنوا الحرب على « سيس رمب » ، وتلت ذلك فترة من الفوضى والصراع على السلطة بين حكام ممباسا وبات وامام عمان ، وبذلك تمكن البرتغاليون من استعادة ممباسا غير أنهم طردوا من كافة ممتلكاتهم في ساحل شرقى افريقية شمال موزمبيق عام ١٧٣٠ •

وعندما تولى سلطان بن مرشد الامامة عام ١٧٣٨ عين أحد رجال المزروعى ويدعى « محمد بن عثمان » واليا على ممباسا ، وخلفه عام ١٧٤١ « أحمد بن سعيد آل سعيد » مؤسس أسرة « آل بوسعيد » وفي عام ١٧٤٦ تمرد حاكم ممباسا على بن عثمان (الذى خلف أخاه محمد بن عثمان) على الامام ، وتبع ذلك صراع طويل بين حاكم ممباسا و « بته ولامو » والامام •

(م ٢ — عمان وقلعة ممباسا)

وفي عام ١٨٢٤ طلب سليمان بن علي حاكم ممباسا من الكابتن فيدال الذي كان من حاشية صاحب الجلالة اس ليفن اعلان الحماية البريطانية على ممباسا * وعندما رفض الكابتن طلب الحاكم قام بنفسه برفع العلم ، غير أن الكابتن أوين الذي وصل فيما بعد الى باراكوتا أمر بانزال العلم ، وعين الملازم ريتز مسئولا عن ممباسا ، وقامت مجموعة من ليفن وباراكوتا باقتحام منزل على الشاطئ ما زال يعرف باسم منزل ليفن ، غير أن الحكومة البريطانية لم تكن على علم بموضوع الحماية حتى ذلك الوقت *

ولم تنته الثورات حتى عام ١٨٣٧ ، عندما أعلن السيد سعيد بن سلطان نفسه حاكما على كل ساحل شرقي افريقيا ، من رأس الغضروفي في الشمال حتى رأس « دلجادو » في الجنوب *

وقد اعتقل حاكم ممباسا وهو من عائلة المزاريع ، ولسمه راشد بن سالم بن حمد ، ونفى الى الخليج مع عدد من أتباعه *

وجدير بالذكر أنه لم تحدث تغيرات جوهرية في القلعة في ظل حكم العرب ، وما تزال البذلات العسكرية للقادة البرتغاليين محفوظة حتى اليوم ، وان كان هناك بعض

التغيرات الطفيفة في الداخل ، مثل إعادة تنظيم الكنيسة الصغيرة وتحويلها الى مسجد ، كما لا يزال بعض الأعمدة الخشبية موجودة بنقوشها من الآيات القرآنية ويحمل العمود الداخلي للبوابة الداخلية نقوشا لآيات قرآنية مكتوب عليها تاريخ ١٥ رمضان ١٢٨٤ (٦ فبراير ١٨٣٣) •

وفي داخل المسجد توجد أعمدة منقوشة ، وقد نقش على العمود العلوى فى الجانب الجنوبى آيات قرآنية سطورها الأولى غير واضحة • كما نقش على الجانب الجنوبى من للعمود بعض الآيات القرآنية وعلى الجانب الشمالى من العمود نقش الآية القرآنية التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

(الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) •

كما نقش على الجانب الجنوبى من العمود المثبت فى السقف الآية القرآنية :

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ان شأنك
هو الأبتى) •

(قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد) •

أشخاص الأحداث

١ — عبد الله بن مسعود بن سالم المزروعى : ولد عام ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م وتوفى فى تاكونجو عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) وكان شاعرا ومعروفا بنظمه الأكبر قدر من الأغانى . ووالده مسعود كان أحد الذين تم إبعادهم الى بندر عباس عام ١٨٣٧ .

٢ — عبد الله بن مبارك فجاشـوينى : والد محمد بن عبد الله هاجر الى شرقى افريقية من « دوان » بحضرموت فى عهد السيد سعيد بن سلطان ، واستقر فى بانجانى جنوب تانجا ، وانتخب اماما حوالى عام ١٨٤٢ ، ومات بعد ذلك بفترة وجيزة م خلفا طفلا صغيرا .

٣ — عبد الله بن ناير : أقام فى مجزى وجزيرة يمبا وكان صديقا للشاعر مسعود بن سعيد ومؤيدا له فى موضوع الامامة .

٤ — عبد الله مواكيتا : رئيس قبيلة ديجو ، وكلن من المعارضين للسلطان ماجد بن سعيد ، سلطان زنجبار .

٥ — علي بن ناصر : كان واليا على ممباسا في عهد السيد برغش بن سعيد ، وتوجه الى مكة عام ١٨٧٠ م •

٦ — شريف أنور : وهو المعروف باسم « شيكر » كان رجلا طيبا ، ورافقه السلطان الى زنجبار للدفاع عن قضيتته أمام السيد برغش ، واتهمه الشاعر سـعود بممارسة السحر والشعوذة •

٧ — السيد برغش بن سعيد بن السلطان : سلطان زنجبار في الفترة من عام ١٨٢٧ هـ حتى ١٣٠٦ هـ (١٨٧٠ — ١٨٨٨ م) •

٨ — بريرارفن : سلطانة بسينا ومدغشقر •

٩ — بوري : أحد زعماء المنطقة الساحلية من تنجانيقا في عهد السلطان السيد ماجد •

١٠ — السيد أحمد بن ثويني : سلطان زنجبا ، تولى الحكم في زنجبار من ١٣١١ هـ (١٨٨٣ م — ١٨٩٦ م) •

١١ — عيسى مدى : عين مترجما في يناير ١٨٧٥ للأدميرال أسطول السلطان السيد برغش : وأرسل الى ممباسا •

١٢ — جمادا تانجى بن سمب : القائد البلوشى لفرقة السيد سعيد فى عام ١٨٤٩ ثم أصبح مرافقا عسكريا لحمد بن عبد الله •

١٣ — خميس بن حمد : حاكم ممباسا ، خلف أخاه سللا ، ولكنه تنازل عن الحكم عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٥ م) وخلفه راشد بن سالم •

١٤ — لا لا جمادار : قائد حامية السلطان السيد برغش فى زنجبار •

١٥ — السيد ماجد بن سعيد : سلطان زنجبار ١٢٧٣ — ١٢٨٧ هـ (١٨٦٦ — ١٨٧٠) •

١٦ — ماجد بن ناير الرجبى : حوالى ١٨٠٠ — ١٨٨٨ م أحد الشعراء وصديق الشاعر سعود بن سعيد ، وشريك الشيخ مبروك •

١٧ — مسعود بن سالم المزروعى : والد عبد الله بن مسعود الشاعر ، وهو مؤلف قصيدة ، وقد تم ابعاده الى بندر عباس فى عام ١٨٧٣ مع بعض مؤيدى المزروعى المبعدين •

١٨ — مطر بن محمد الحوسنى : قائد عسكري فى

زنجبار ، وقد تم ارساله مع سيف الأمين في يناير ١٨٧٥
ليظهر ممباسا من المحتلين •

١٩ — مبروك بن راشد بن سالم المزروعى : وهو آخر
المطالبين بالاستقلال من قبيلة المزاريع ، وقد ثار ضد سلطان
زنجبار ، وضد الحكم البريطانى ، ومراكز القيادة في جازى
وبعض الأماكن الأخرى ، ونظم حملة لاستعادة سلطة المزاريع •

٢٠ — محمد بن عبد الله بن مبارك ثوينى والمعروف باسم
العقيدة — ولد في حصن ممباسا عام ١٢٥٣ — ١٢٥٤ هجرية
(١٨٣٧ — ١٨٣٨ م) وشغل منصب والده في وظيفة القائد في
ذلك الحكم السيد ماجد ولكنه عارض وتم استبعاده •

٢١ — محمد بن أحمد بن شيخ المومباسى (١٨٥٠ —
١٨٩٠ م) كان أحد الرجال المثقفين والقياديين في ممباسا ،
وكان شاعرا وصديقا ومؤيدا للشاعر سعود بن سعيد •

٢٢ — محمد بن على باكتسر : صهر محمد بن عبد الله بن
مبارك نجاشوينى •

٢٣ — محمد بن على بن منصور الهنائى : أحد القياديين
في ممباسا وقد فوض للتفاوض مع رجال العقيدة عام
١٨٧٤ م •

٢٤ — محمد بن سليمان البوسعيدى : كان وزيرا بزنجبار
للسلطان السيد برغش ، ولكنه أرسل الى ممباسا عام
١٨٧٤ لخلق العقيدة •

٢٥ — مصطفى بن قما دار تنجى : من مؤيدى الشاعر
سعود بن سعيد •

٢٦ — هوانا كنج وaba : زعيم قبيلة « زيجو » الذى خلف
« توركامواتا » فى عهد السلطان السيد ماجد ، وكان زعيم
قبيلة زيجو ، التى ثارت ضد حكم السلطان السيد ماجد •

٢٧ — ناصر بن سعيد : كان وزيرا للسلطان السيد برغش
عام ١٨٧٠ ، وقد أيد سياسة الشاعر سعود بن سعيد •

٢٨ — راشد بن المنذرى : أعلن فى حصن ممباسا تأييده
لتعيين السلطان السيد برغش للعقيدة كوال لممباسا عام
١٨٧٢ م •

٢٩ — راشد بن خميس المزروعى : والى تاكونجو وأحد
أقرباء زعيم قبيلة المزروعى ، وكان معروفا للشيخ مبروك
ابن ناصر •

٣٠ — راشد بن سالم بن حمد المزروعى : تولى الحكم

عام ١٢٥٢ هـ (١٨٥٣ م) كآخر وال لمباسا من عائلة المزروعى .
هوجم وهزم من جانب السلطان السيد سعيد عام ١٨٧٣ .
ونفى مع بعض المؤيدين من أتباعه الى بندر عباس *

٣١ — رضوان بن هنائى : وكان صديقا ومؤيدا للشاعر
سعيد بن سعيد ، وسجن مع العقيدة *

٣٢ — سعيد بن عبد الله بن مبارك : كان شقيق العقيدة
الذى أعلن الحرب ضد المزاريع ، وعلى رأسهم الشيخ
مبروك بن راشد *

٣٣ — سعيد بن على الدوان : كان الثانى فى قيادة العقيدة
عام ١٨٧٤ *

٣٤ — السيد سعيد بن سلطان : سلطان زنجبار من ١٢١٩
الى ١٢٧٣ هـ (١٨٠٤ الى ١٨٥٦ م) *

٣٥ — سالم بن حمد بن محمود المزروعى : كان حاكما
لمباسا عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٤ م) *

٣٦ — سالم بن خلفان : ولد الشيعية ، كان واليا لمباسا
عام ١٨٧٤ م ، ومعارضاً للعقيدة *

٣٧ — سالم بن خميس : من تاكونجر شقيق الشيخ راشد بن خميس المزروعى ، والى تاكنجو وقاد فرقاً عام ١٨٧٥ م للمساعدة فى طرد العقيدة منها .

٣٨ — سيف العامر : كان قائداً حريباً فى عهد السلطان السيد برغش عام ١٨٧٥ م ، وذهب الى ممباسا لتخليصها من رجال العقيدة .

٣٩ — سيف بن سليمان الدرمنى : من ماليندى ، عين نائب والى ممباسا عام ١٨٧٤ م عندما ذهب سالم بن خلفان الى زنجبار ليقود الحملة ضد العقيدة .

٤٠ — سليمان بن سليمان : كان مندوب العقيدة ، وأوفد الى رئيس قبيلة المزاريع مع بعض الهدايا لاسترضائهم .

٤١ — سليمان بن على بن عثمان المزروعى : والى ممباسا عين ١٢٣٩ (١٨٢٣ م) وخلق من السلطة عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٦ م) حيث تولى الحكم سالم بن حمد .

٤٢ — سليمان بن حمد : والى ماليندى عام ١٨٧٥ — قاد الحملة الى ممباسا لتخليصها من العقيدة .

٤٣ — سعود بن سعيد المعمرى : ولد عام ١٨١٠ ومات ١٢٩٥ هـ وعرف بشعره وقيادته السياسية ضد العقيدة ، وكان صديقاً ومناصراً لرئيس المزاريع الشيخ مبروك بن راشد .

سرد مختصر لتاريخ حياة محمد بن عبد الله

لا يعرف بالتحديد تاريخ ميلاد بطل هذه القصة ، غير أنه من المؤكد أنه ولد عام ١٢٥٣ أو عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٧ — ١٨٣٨ م) في حصن اليسوع في ممباسا ، ويدعى والده عبد الله بن مبارك بخاشويني ، الذي هاجر الى ساحل شرقي افريقية من « دوان » في حضرموت في عهد السلطان السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان وزنجبار ، وقد استقر في بنجاني ، وهي ميناء جنوب مدينة تنجا في اقليم تنجانيقا ، والذي أصبح فيما بعد تحت سيطرة سلطنة زنجبار .

وقد كان السلطان السيد سعيد في ذلك الوقت مشغولا بجهوده في حرمان قبيلة المزروعى من حقهم في الاستيلاء على ممباسا ، وقد ادعوا سيطرتهم وحكمهم عليها .

وفي عام ١٨١٢ أقام السيد سعيد مقر حكمه في زنجبار ، ومافيا وكيلوا وبمبا ، وأجزاء أخرى كثيرة ، وبعض مناطق سواحل « مرمى » غير أن ممباسا واخوتها ، لامو ومدينة بتة لم تخضع لهذا الحكم ، وقد كان هذا يتعارض مع طموحات السيد سعيد في اقامة امبراطورية له على ساحل ازانيا ، مما جعله يفكر في ضرورة الاستيلاء على ممباسا

وقلعتها ، نظرا لأهميتها في المنطقة ، حيث انها تتحكم في طريق التجارة البحرية •

وقد حاول السيد سعيد عدة محاولات في الاستيلاء على ممباسا إلا أنه لم يوفق ، حتى أنه اضطر أن يأمر كافة الممالك الخاضعة له أن تمدد بقواتها للمساعدة ضد المدينة المتمردة •

ووفقا لهذا التحالف قام عبد الله بن مبارك بقيادة خمسة وعشرين متطوعا للمساعدة السلطان في هجومه على ممباسا ، والنيل من قبيلة المزروعى •

وبالرغم من الادعاء بالحق في حكم ممباسا من جانب السلطان فان الحكام من قبيلة المزاريع لم يعترفوا بذلك ، وكانوا يمارسون الحكم على أساس أنهم دولة مستقلة ، واحتفظوا بحق تعيين الوالى أو الحاكم ، حيث تعين سالم بن محمد المزروعى واليا لمباسا ، خلفا لسليمان بن على المزروعى ، الذى استطاع أن يكسب اهتمام الكابتن أوين ، الذى انشغل في عمل مسح لساحل شرقى افريقية ، وتمكن من اقناعه بفرض الحماية البريطانية على ممباسا ، لضمان استمرار حكم المزروعى لمباسا ولأراضيها الساحلية •

غير أن الحكومة البريطانية لم تؤكد موافقتها على ما فعله كابتن « أوين » وقام السيد سعيد مرة أخرى بمشروعه لاختضاع ممباسا . وفي عام ١٨٢٧ قام السيد سعيد شخصيا بقيادة سفينته ، يتبعه أسطول مكون من عشر سفن حربية أخرى تحمل ١٢٠٠ مقاتلا ووصل الى ممباسا .

وبعد يومين أو ثلاثة من المفاوضات مع بعثة الحصن فتح نيرانه بادئا المعركة ، غير أنه لم ينجح في هزيمة المزروعى ، واقتنع من هجماته غير الناجحة بأن قواته غير متكافئة مع قوة المزروعى ، فحاول أن يتوصل الى اتفاق مع المزروعى ، أساسه اعترافهم به كسيد للبلاد ، مقابل أن يعطيهم الحق فى حكم ممباسا ، وتأكيدهم تعيين سالم بن محمد المزروعى فى مكتبه ، كما حكم ، على أن يدفع له المزروعى نصف عائدات الجمارك ، وأن يحتفظ سالم بنصف قوات السيد سعيد فى الحصن لأغراض الحماية .

وقد صدق كل من الطرفين على هذه الشروط فى ١١ يناير ١٨٢٨ ، وتم الاتفاق على هدنة بين الطرفين ، وان كان كل منهما لا يكن فى نفسه احتراما لهذه الهدنة ، وقد تمكن السيد سعيد من زيادة قواته فى الحصن ببطء وحرص حتى أصبحت القوة الحامية حوالى مائتى رجل ، وقد استطاع أن

يستخدمها في ابعاد الوالى سالم وأتباعه من قبيلة المزروعى ،
من الحصن ، حيث اقتحم عليهم أبواب الحصن ، وتمكن السيد
سعيد من اصلاح الحصن وأنشأ حامية جديدة قوامها ٣٥٠
جنديا •

وبالرغم من هذا الخرق الصاروخ للهدنة ، فقد كان
من الممكن أن يقبل المزروعى هذا الوضع بشرط الاحتفاظ
بسالم بن محمد حاكما للمدينة ، غير أن السيد سعيد قرر أن
يتخلص نهائيا من سيطرة المزروعى على ممباسا ، فعين ناصر بن
سلطان حاكم « بمبا » قائدا للحصن والحامية ، كما جعله حاكما
للمدينة بدلا من الوالى المزروعى •

وقد كان هذا أمرا صعبا على قبيلة المزاريع ، فعندما
وصل ناصر بن سلطان فى مايو ١٨٢٨ تلقى انذارا بمغادرة
المدينة والحصن خلال أربع وعشرين ساعة ، غير أنه رفض ،
وتمركز فى الحصن وفتح نيرانه على المدينة ، حيث كانت تتواجد
المزاريع وأنصارها ، غير أن قوات المزاريع صمدت ، وحاصرت
الحصن منذ شهر مايو حتى ديسمبر ، فى حصار أدى الى تدهور
الحصن نتيجة الجوع والعطش ، مما أدى الى استسلام
الحامية ، ووضع فيها ناصر بن سلطان فى القبو ، وسمح بعودة

قوات السيد سعيد الى زنجبار ، واستولى المزروعى مرة أخرى على القلعة والميناء ومدينة ممباسا •

وقد حاول السيد سعيد ، الذى كان مشغولاً فى ذلك الوقت بالاستيلاء على البحرين ، انقاذ الحامية بارسال قوات لشن حرب مضادة ضد المزروعى ، غير أن الحصن كان قد استسلم قبل أن تصل السفينة الى مياه ممباسا ، وحتى شهر ديسمبر ١٨٢١م لم يتمكن من الهجوم •

وقد كان هجومه فى ديسمبر سنة ١٨٢٩ فاشلاً ، حيث هبط على ممباسا بثمانى سفن حربية وقوات تقدر بـ ١٥٠٠ رجل ، محاولاً مفاجأتهم من الضواحي ، لارباك وضع رجال قوة المزاريع الذين كانوا مستائين أشد الاستياء ، فقاموا بذبح ناصر بن سلطان دليلاً على اصرارهم على مقاومة السيد سعيد •

وقد حاول السيد سعيد القيام بعدة هجمات للاستيلاء على الحصن ، غير أن قواته هزمت ، واضطر أخيراً الى طلب الصلح مع الوالى سالم بن محمد بنفس شروط المعاهدة السابقة ، مع عدم السماح للسيد سعيد بالاحتفاظ بقوات داخل الحصن •

وخلال هذه الحملة الأخيرة للسيد سعيد أتاحت الفرصة

لعبد الله بن مبارك للقيام بعمل ايجابي فيما يتعلق بشئون ممباسا ، وفقا للنظام الذي كان معمولاً به ، والذي ينص على مشاركة أتباع السيد سعيد في القرى بطول الساحل في تدعيم قسراته •

وقام عبد الله بن مبارك بقيادة خمسة وعشرين متطوعاً بمساعدة جيش السيد سعيد في هجومه على المزاريع ، غير أن هذا الهجوم لم ينجح ، ولم يسمع عن عبد الله بن مبارك بعد ذلك لمدة سبع سنوات •

واستمر الوالى المزروعى سالم بن محمد حاكماً لمباسا حتى وفاته عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) وخلفه أخوه خميس بن محمد كوا ، اسمى ، وانقسم معسكر المزروعى الى شقين ، أحدهما ، يتبع خميس ، والآخر يتبع راشد بن سالم •

في عام (١٢٥٢ هـ — ١٨٣٦ م) نشب الصراع ، وأبعد خميس وعين سالم واليا ، وفقا لرأى الأغلبية من المزاريع ، والكثير من رجال المدينة ، غير أن بعض أبناء ممباسا العرب والسواحليين سئموا الخداع والمؤامرات التى ظهرت بين جماعة المزروعى ، ووضعوا خطة للقضاء على بقاء ممباسا تحت حكم

(م ٣ — عمان وقلعة ممباسا)

المزايح ، وأرسل القادة رسلا الى السيد سعيد ، يطلبون منه التدخل ، والاطاحة براشد بن سالم ، وانتهاز السيد سعيد الفرصة لتحقيق أهدافه ، وقرر أنه بدلا من ارسال قواته للقيام بهجمات عشوائية ضد المزايح ، فقد وضع خطة سياسية مرسومة ، حيث شجع الاتجاه المعارض للوالى ، ونشر العداء بين رجال راشد ورجال المدينة • حتى انه فى فبراير عام ١٨٣٧ كان راشد فى وضع لا يحسد عليه ، واضطر أن يقبل أى شروط يعرضها السلطان ، ووافق السيد سعيد على أن يترك راشد واليا ، بشرط أن يغادر هو وأتباعه الحصن ، ويعيشوا فى المدينة ، واستولى السيد سعيد على الحصن بقوة عمانية ، فوامها خمسمائة رجل •

كان هذا الحدث بداية النهاية ، فقد قرر السيد سعيد أن يخلص ممبلسا من نفوذ المزايح ، فاستدعى الوالى الى زنجبار ، وعرض عليه ثلاثة اختيارات :

أولهما : هدية بقيمة ١٠٠٠٠ ريال • مع معاش يتقاضاه طول حياته ، بواقع ٣٠٠ ريال ، بشرط أن يقيم هو ورجاله فى زنجبار •

ثانيسا : أن يتولى الولاية على مافيا •

ثالثا : تولية الولاية على ممبسا •

غير أن راشد رفض العروض الثلاثة ، التي قدمها له السيد سعيد ، لأنه أدرك أنه بمغادرته ممبسا سواء الى زنجبار أو ماфия أو ممبسا ، فلن ذلك سيعرض حياته وحرية للخطر ، ازاء مؤامرات البلاط الزنجباري ، وأدرك أنه من الصعب عليه أن يأمن على نفسه وحياته وحرية ، فعاد الى ممبسا •

وبعد أسابيع قليلة قام خالد بن سعيد ، أحد أبناء السلطان بزيارة المدينة ، وأقام حفل استقبال في القلعة ، وبعد تبادل الدعوات والاستقبالات استدعى الوالى راشد وأتباعه واحدا بعد الآخر بحجة مناقشة الوضع ، ولكنهم احتجزوا فى إحدى السفن بالميناء ، ثم أبعدها الى بندر عباس ، ولم يعد أحد منهم الى ممبسا ، ولم يسمع عنهم منذ ذلك الوقت •

ومنذ ذلك الحين أصبح السيد سعيد سيدا على القلعة والمدينة دون منازع له •

وكان أول عمل قام به ، أن عين عبد الله بن مبارك قائدا وحاكما على ممبسا ، واتخذ عبد الله من الحصن مركزا رسميا له ، وخلفه بعد قليل أحد القواد العاملين تحت إمرة السيد سعيد ويدعى جمادار نانقيه بن شميه ، الذى أسندت

إليه القيادة العسكرية ، بينما ظل عبد الله بن مبارك قائدا دينيا تحت رئاسته •

وفي ذلك الوقت أى حوالى ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) ولد محمد بن عبد الله بن مبارك ، وقد توفى والده ، وهو لا يزال طفلا ، تاركا إياه تحت وصاية صديقه وزميله جمادار نانجيه ، الذى أخلفه لهذه الثقة التى منحه إياها عبد الله بن مبارك •

وعندما كبر الابن أوصى البلاط فى زنجبار ، بتعيينه قائدا دينيا خلفا لوالده ، ووافق السيد ماجد على التوصية ، وكان قد خلف السيد سعيد . وعين محمد فى مكتب والده تحت قيادة جمادار ، وكان يؤدي عمله على أكمل وجه ، حتى نال رضا البلاط الحاكم فى زنجبار من دون أن يسبب وجوده أى مضايقة لشعب ممباسا •

وفى عام (١٢٨٧ هـ — ١٨٧٠ م) عندما تولى السيد برغش الحكم فى زنجبار ، بعد وفاة السيد ماجد ، كان أول عمل يقوم به أداء هو فريضة الحج ، وفى طريق عودته زار ممباسا ، وطلب من الوالى على بن ناصر أن يصحبه الى زنجبار ، وعين محمد بن عبد الله كتائب للولى ، وخلال هذه الفترة قام محمد بن عبد الله بنشاط كبير فى عمله مما أَرْضى السلطان ، وقد أرسلَ بعثة تأديبية ضد الزعيم المزروعى الشيخ

مبروك بن راشد ، ونجح في احتلال بوه مويلي التي تعتبر أقوى تحصينات الشيخ مبروك •

وتقديرا لهذا عينه السلطان في منصب والى ممباسا . واستمر في هذا المنصب حتى عاد على بن ناصر ، فانتقل الى وظيفته الدينية •

وخلال الأربع السنوات التالية كانت تصرفاته مختلفة تماما ، كما سلاحظ ذلك لاحقا ، فقد عادى قسما كبيرا ومؤثرا من رجال ممباسا المعروفين ، وبناء على هذا فانه لم يقاوم القيادة في زنجبار فحسب ، بل انه في عام (١٢٩١ هـ — ١٨٧٤ م) حصن نفسه في الحصن بعد أن حاول حرق المدينة . وتحدى السلطان ، ودبر مؤامرة لاغتياله ، فألقى القبض عليه ، وأرسل الى زنجبار مع عائلته ، ومنها تم ترحيله الى مكا ، وبعد فترة من الوقت اصطحب أخاه سعيد بن عبد الله في زيارة قصيرة ليمبا ، في طريقه الى مدغشقر وتزوج بيرا فن سلطنة بمسينا ، وأنجب منها سبعة أطفال •

وبعد أن قمع عدة ثورات ضد زوجته أصبح هو الحاكم الحقيقي للسلطنة فترة امتدت عشر سنوات ، وظل يراوده الأمل في أن يستعيد ممباسا •

وفي عام (١٣٠٦ هـ — ١٨٨٨ م) عندما انضم السيد
خليفة بن سعيد الى السلطنة عاد محمد بن عبد الله الى زنجبار ،
وكانت محاولاته في استعادة ممباسا غير مجدية ، فظل في زنجبار
حتى وفاته عام (١٣١٢ هـ — ١٨٩١ — ١٨٩٦ م) في عهد
السيد حمد بن ثويني *

العقيدة والشيخ مبروك المزروعى

عندما تولى السيد برغش بن سعيد الحكم ، وتم تعيين محمد بن عبد الله كنائب للوالى فى ممباسا كان الشيخ مبروك بن راشد بن سالم المزروعى رئيس قبيلة المزاريع المشهورة يخوض حربا ضد حاكم زنجبار ، وقام بعدة غارات على القرى الواقعة على طول الساحل المعروف حاليا بساحل كينيا . معتمدا على جيشه غير المدرب من أتباعه ومن العبيد •

وفى عام ١٨٧١ نهب وحرق مدينة فنجا ، ثم أغار على مدينة ليكونى التى تبعد عن ممباسا أميالا قليلة ، ثم عاد الى مركز القيادة فى جازى بالعديد من الغنائم ، ومنها عدد كبير من الماشية •

ولم ينتظر محمد بن عبد الله فترة طويلة للثأر لتلك الغارة الوحشية على مدينة فنجا ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة أخيه سعيد بن عبد الله الذى استطاع انزال الهزيمة بقوات الشيخ مبروك ، بعد اشتباك عنيف ، وتمكن من استرجاع الماشية التى كان قد استولى عليها الشيخ مبروك •

وجدير بالذكر أنه وان كان هذا النصر صغيرا نسبيا ،

غير أنه كان ايجابيا ، وأسعد الناس في ممباسا ، الذين لم تكن لديهم أدنى اهتمامات بالصراع الدائر في المنطقة •

والأبيات التالية أنشودة بمناسبة الاحتفال بهذا النصر :

« محمد حاكمنا الذى نؤيده كلنا »

« والعمر المديد للقائد السعيد »

« فقد أرجع ماشيتنا اليها »

ولم يضعف هذا النصر المؤقت من روح الشيخ مبروك التى لا تقهر ، بل بالعكس فأننا نجد أنه كثف حملاته من الغارات ، بشن حرب عصابات ، ووصل الى مرحلة من القوة جعلت محمد بن عبد الله يعبىء امكانياته للقبض على رئيس قبيلة المزاريع بأى ثمن •

وفى ذلك الوقت كان بعض أبناء ممباسا يتعاطفون مع الشيخ مبروك ، وقد حاول محمد بن عبد الله أن يحبط ترنبياته بالسرية الكاملة ، حتى لا يتنبه الشيخ مبروك لتلك الاستعدادات ، التى كانت تدبر للهجوم عليه ، ورغبة فى مزيد من الحماية عين حراسا فى العبارات التى تربط جزيرة ممباسا بالقارة الافريقية ، حتى لا يتمكن أى فرد من العبور ، ومعه

أوراق عن أى خطط تتعلق بنوايا محمد بن عبد الله . غير أن هذا الأسلوب فى حد ذاته كشف نفسه ، إذ أدرك أتباع الشيخ مبروك فى ممباسا ، أن هناك استعدادات سرية للهجوم عليهم ، وقد حاولوا الحصول على المعلومات بثتى الطرق .

وكان يوجد فى ذلك الوقت فرقنا رقص فى ممباسا . تدعى أحدهما مبرورا ، والأخرى موانى ، وكانتا تقدمان عروضهما كل ليلة بمصاحبة الطبول والأغاني ، التى تم تأليفها خصيصا للاحتفالات غير أن بعض الأغاني كان يرتجلها المغنين ، وهذه الأغاني تعبر تعبيرا صادقا عن الشعر السواحلى . وحتى تكون هذه الأغاني مقبولة وشعبية ، فقد كان لابد أن تستبعد منها بعض الأفكار الموضوعية . وأن تتبع طريقة النغمة والأسلوب الميلودى ، الذى يتمشى مع القواعد المعروفة فى الانشاد والسجع والثقافية .

وفى ذات ليلة بينما كان محمد بن عبد الله مشغولا بخطته السرية للتبض على الشيخ مبروك ، وبينما كان حراسه يراقبون الطرق المائية المؤدية الى ممباسا ظهر فى إحدى احتفالات الرقص رجل يدعى الشيخ سعود بن سعيد المعمرى ، المشهور بشعره السواحلى وبصداقته للشيخ مبروك وبعدائه لمحمد بن عبد الله ، وقرر الشيخ سعود أن يخبر الشيخ مبروك

بالاستعدادات السرية التي تدبر لاعتقاله ، وأن يفسد الخطط التي كانت تدبر لمنع نقل الأخبار عبر العبارات ، وكانت فكرته بسيطة وذكية ، فقد عبر عن تحذيره لصديقه من خلال الأغاني ، فذهب الى أحد الراقصين ، واسمه مבורا ، وألف له بعض الأبيات لتحل محل أبيات أخرى في قصيدة شعبية ، ولم ينتبه أحد من الحاضرين الى تغيير الكلمات ، نظرا للحماس الذي كان يغمر الرقص والغناء ، ونظرا لأنها كانت تتحدث عن الطبيب الساحر والى القصة الشعبية (ثارى لاندنيا) •

غير أن كلمات هذه الأبيات كانت تحمل في طياتها معانى أخرى ، مثلها في ذلك مثل باقى الأغاني السواحلية ، وقد غدت تلك الأغاني الجديدة من تأليف شعر الشيخ سعود أغاني شعبية خلال يوم أو يومين ، وأخذ يتغنى بها أطقم الراقصين والرجال والنساء في العبارات •

وسرعان ما سمع الشيخ مبروك ورجاله في جازى تلك الأغنيات التي أصبحت أغنيات شعبية ، تتحدث عن ملاحظات ساخرة على راقص مבורا ، غير أن الشيخ مبروك كان رجلا حاذقا وذكيا ، فسرعان ما فهم ما تعنيه تلك الرسالة المخفية من

الشيخ مسعود ، فترك جازى الى حصنه فى ربوة أموى ،
وبدأ تحصين نفسه وتقوية دفاعاته •

فقد كانت الرسالة واضحة له ، تدل على أن المقصود
بالساحر هو العقيدة ، وأن المقصود بكلمة (واتيجى) هم
رجالهم المسلحون ، وأن المقصود بكلمة (باجارو) قطع الأغصان
التي توضع على أكتاف شعب الطبيب الساحر ، ويقصد بذلك
حزام الرصاص الذى يستعمله عادة جنود محمد ، بل أكثر
من ذلك فقد كانت الأغنية توحى ، بأنه اذا كان رجال ممباسا
مسلحين بالسيوف والخناجر فانه لا يحق للغريب (محمد بن
عبد الله) أن يتدخل ، وعليه ألا يأخذ الشيخ مبروك
على غرة •

وأخيرا فقد كان على الشيخ مبروك أن يفهم . أن ذلك
الهجوم المعد لن يكون هجوما بسيطا كالهجمات السابقة .
أو أن أتباع محمد بن عبد الله ضعفاء حيث انه شبههم بكلمة
(وانجارو) أى الراقصين الذين يلبسون الملابس التي تستر
العورة حتى الركبة ، ومعهم سيوفهم ، وبمعنى آخر فانه
كان يقصد من كلامه جيش محمد من عرب حصر موت الذين
كانوا يرتدون قمصانا فوق الركبة •

ومن هنا فان المعنى الذى فهمه الشيخ مبروك كان يختلف

تماما عن المعانى البسيطة التى استمتع بها راقصوا مبوراً فى
أمسياتهم فى ممباسا •

وكما ذكرنا فقد ترك الشيخ مبروك مدينة جازى ، وحصن
نفسه فى يوبى ، غير أنه لم يكن هناك وقت كاف لاتخاذ كافة
التدابير لمقاومة هجوم خصمه بنجاح ، حيث باغته قوات
محمد بن عبد الله الى موبن ، واشتبكت معه فى قتال عنيف .
اضطره الى التقهقر ، وتم الاستيلاء على ربوة يوبى كما تم
الاحتفال بذلك النصر •

وقد فجع الشيخ سعود صديق الشيخ مبروك من
نتيجة المعركة التى كان قد حذره منها ، ودهش من أن التكتيك
الذى اتبعه الشيخ مبروك قد قاده للهزيمة • وقد كان النصر
الذى حققه رجال محمد بن عبد الله ذا أثر عميق فى نفوسهم ،
حيث عمّتهم الفرحة ، لدرجة أنهم تصوروا أن الشيخ مبروك
قد قتل ، وأرسلوا بذلك الخبر الى ممباسا •

غير أنهم بعد ثلاثة أيام تبينوا أن الشيخ مبروك لم
يقتل ، وأنه بدأ يعيد تجميع قواته فى قرية « ماكينجنى » ،
واستمر فى غاراته منطلقاً من تلك القاعدة الجديدة ، مهدداً
بإثبات كيانه مرة أخرى •

وبالرغم من أن تلك الأخبار قد حطمت آمال محمد بن عبد الله إلا أنهم رحبوا بالشيخ مبروك وأصدقائه ، ومن خلال حرارة ذلك الترحيب أنشدوا قصيدة أثرت في العقيدة وأتباعه ، وهي بعض قصائد المديح •

وقد أساءت تلك القصيدة الى شعور محمد بن عبد الله ورجاله من حضرموت ، غير أن الفرصة لم تواته للانتقام ، ورأى أنه مادام قد تعذر القبض على الشيخ مبروك في الحرب ، فلا بد من تدبير مؤامرة حاذقة لاغتياله ، وحتى يتحقق هذا الهدف فقد تظاهر بطلب الهدنة مع الشيخ مبروك ، وأرسل اليه رسولا محملا بالهدايا من بينها شيلان ، وأوشحة من الحرير ، وطلب اليه أن يقابله شخصيا على فنجان قهوة لمناقشة اتفاقية السلام •

وعاد الرسول الى محمد بن عبد الله حاملا نبأ قبول الشيخ مبروك للدعوة . غير أن الشيخ مبروك اشترط أن يحدد هو هذا اللقاء ، ووافق العقيدة على ذلك ، وحدد الشيخ مبروك ، بمكر ودهاء ، موعد اللقاء ، وطلب أن يكون اللقاء في قرية صغيرة على بعد أميال قليلة شمال مباسا ، اسمها مواكى رونج ، حيث يعرف مواقع الأماكن المحيطة بالمدينة •

ولم ينتبه محمد بن عبد الله لهذا الدهاء من جانب الشيخ

مبروك ، فجاء متوقعا أن يوقع الشيخ مبروك في الشرك الذى حاكه له ، وانتشر خبر اللقاء في مواكى رونج ، وأن محمد سيعود ومعه الشيخ مبروك مكبلا بسلاسل الحديد ، غير أنه في مواكى رونج تلقى الصدمة ، إذ لم يجد الشيخ مبروك مستعدا برجاله الحربيين فحسب ، بل وجد أيضا أن خصمه قد وضع خططا استراتيجية جعلت محمد بن عبد الله وجيشه في موقف حرج ، ونتيجة لذلك اضطر أن يفاوض خصمه على الهدنة ، برغم أن كلا الطرفين لم يقتنعا باتفاقية السلام المشروطة التى تم الاتفاق عليها •

وفي هذه الفترة عاد الشيخ الشاعر سعود الى ممبasa ، ومازالت ذكرى هزيمة صديقه الشيخ مبروك في رأسه ، غير أنه عندما علم بما تم بين الشيخ مبروك والعقيدة الذى لم يتمكن من أسر الشيخ ، فرح الشيخ سعود ، وعبر عن فرحه بانشاد بعض الأبيات ، واستخدم الأسلوب المجازى ليصب به السخرية على عدوه ، مشبها محمد بن عبد الله بالريفي العاشق ، الذى ينشد حب شقراء جميلة متقلبة ، يعنى (الشيخ مبروك) وهى تفضل وتؤثر بحبها أسوأ رجل في البلد على الرجل غير الأمين (العقيدة) ، وكان لهذه الأبيات ، وهذا التعبير المجازى اللاذع أثر كبير في نفس كل من أيد وعاون محمد بن عبد الله ، ولا شك أن هذا كان سببا يمكن أن يؤدي بالشيخ

سعود الى السجن غير أنه لم يتمكن من التحكم في مشاءره أمام جمهوره من المستمعين في تلك الليلة ، ومازال الكثيرون يتذكرون تلك القصيدة حتى اليوم .

وسرعان ما انتشرت تلك الأغاني المهينة لمحمد بن عبد الله بين العامة ، وأصبح الكل يتغنئ بها في ممباسا ، غير أن عزاء محمد بن عبد الله كلن في زنجبار ، فقد فرح السيد برغش بالأخبار التي وصلتته عن خروج الشيخ مبروك من جازي ، وطرده من تحصيناته في موبى ، واضطراره الى اللجوء الى مكان آخر ، الى جانب ماروا بدلا من أنه يقبل شرط السلام .

وقد حاول السيد برغش عدة مرات اذلال الشيخ مبروك ، وتجريده من قوته في ممباسا ، غير أنه يبدو أن جهود العقيدة في ممباسا كانت كافية ليحقق له تلك الأهداف .

وتقديرًا لخدمته وولاء محمد بن عبد الله له فقد عينه واليا على ممباسا ، ثم دعوة أعيان البلد من المواطنين الى الحصن ، وأعلن الشيخ راشد بن على المنذررى مبعوث السلطان ، رسميا ، قرار السلطان بتعيين محمد بن عبد الله واليا على البلاد ، وقد أدى ذلك الى زيادة نفوذ محمد بن عبد الله وتمكينه من اتخاذ العديد من الاجراءات .

وجدير بالذكر أن الاهانات التي تضمنتها قصيدة هجاء الشيخ سعود لمحمد بن عبد الله قد أخذت تتعمق في النفوس أكثر فأكثر . وبالرغم من أن الشاعر حضر الاجتماع الذي أعلن فيه قرار تعيين الشيخ محمد حاكما ، إلا أنه لم يتجرأ أن يقول شيئا في الحاكم الجديد ، واضطر أن يتجرع الصبر . ولا سيما أنه كان متأكدا من أن أول إجراء سيتخذه الحاكم الجديد هو القاء القبض عليه وقد تم ذلك بالفعل ، فقبل أن ينفذ الاجتماع اعتقل وزج به في السجن مع بعض مؤيديه وأصدقائه ، وبعض الأعيان ، مثل الشيخ ماجد بن جابر ، ورضوان بن هاني . وأنشد الشاعر الشيخ سعد وهو في السجن أبياتا ، يرحب فيها بالزملاء الذين أودعوا السجن معه .

وقد شعر الشيخ محمد بن عبد الله أنه قد انتقم لنفسه من الرجل الذي كانت قصائده الهجائية تضحك أهل ممباسا كلهم عليه ، والذي كان شعره أشد وطأة من سيف الشيخ مبروك . ولقد أثبتت الأحداث صحة توقعات الشيخ محمد بن عبد الله ، حيث كان الخطر الحقيقي يكمن في أشعار الشيخ سعود ، وليس في سيف الشيخ مبروك .

الحاكم الجديد وشعب ممباسا

نظرا لأن معظم السجناء الذى تم سجنهم بنساء على أوامر من الحاكم محمد بن عبد الله كانوا من بين الأعضاء البارزين فى العائلات الأرستقراطية من ممباسا ، فقد كان من الطبيعى أن ينعم الحاكم الجديد ببعض الاستقرار فى مركزه كحاكم ، غير أن الأمور لم تمض على هذا النحو ، فقد دبرت خطة على الفور لتتحيته ، وكان من الضرورى أن يتم ذلك باسترضاء الحاكم وأعضاء أسرته ، وصولا للإفراج عن الشاعر الشيخ سعود ، وقد نجحت المحاولة ، وتم الإفراج عن الشاعر السجين •

وعلى الرغم مما ظهر على سعود من تغير فى مسلكه إلا أنه بدأ يعمل فى هدوء وكتمان للانتقام لنفسه ، وأخذ فى كسب ود الحاكم ، والاعراب عن أسفه لما بدر منه ، وأخيرا نال ثقة المستشار الخاص للحاكم ، وأصبح على علم بكل الخطط والمؤمرات التى تدبر داخل بلاط الحاكم •

وبمجرد أن تلقى القدر الكافى من المعلومات التى نهم البلاط الحاكم فى زنجبار طلب من الحاكم السماح له بالسفر الى

متبو ، وهى منطقة أصبحت تعرف الآن بتجلانيقا ، وقد سمح له الحاكم بالسفر دون أن يشك فى نواياه •

ولم يكن فى نية سعود المغامرة بالسفر أسفل ساحل مريما ، فقد كانت خطته التى وضعها بعناية وحرص أن يبحر مباشرة الى زنجبار ، ليبلغ السلطان عن مؤمرات محمد بن عبد الله . غير أنه بمجرد أن ركب سفينته لم يتمالك شعوره بالفرح لنجاح خطته ، وبمجرد أن تم رفع المرساة وأبحر القارب أطلق نيرانه على أحاد القوارب الراسية فى الميناء ، وبذلك كشف عن خطته للقصر ، وبسرعة فطن محمد بن عبد الله المدلل من اطلاق النار من القارب المغادر ، وأمر حراسه بتوجيه نيرانهم الى قارب الشيخ سعود واغراقه ، غير أنه عندما فتحت القلعة نيرانها على قارب سعود كانت سفينة سعود خارج مرمى النيران ، وتمكن من الوصول بسلام الى زنجبار ، واستطاع أن يكسب ود وتأييد بعض المراكز ، كما حصل على وعد من ناصر بن سعيد ، وزير السيد برغش فى ذلك الوقت ، بمساعدته ، تجمع حول سعود عدد من مواطنى ممباسا البارزين •

، فى ذلك الوقت كان الشاعر المشهور محمد بن أحمد المومباسى يعيش مع الشيخ عبد الله بن جابر فى مدينة مجالى

فيمبا ، وعند سماعه بوصول سعود الى زنجبار فطن الى -
غرض الشاعر من تلك الزيارة وأرسل له هو والشيخ عبد الله بن
جابر معربا عن تمنياتهما الطيبة ووعدوه بمساعدته .

وقد كان محمد بن أحمد شاعرا موهوبا ضليعا في
الشعر ، وأرسل الى سعود قصيدة تعرف باسم أغنية
الزيف ، وكانت هذه القصيدة مثل باقى القصائد والأدب
السواحلى تعتمد على الأسلوب المجازى ، غير أن نصائح
وتشجيع الشيخ محمد بن أحمد لصديقه الشيخ سعود كانت
واضحة بين ثناياها .

ونظرا لأن الشيخ سعود كان فى مهمة هامة ، فقد كان
عليه أن يتوصل سريعا بالمسئولين فى البلاط السلطانى ليطلب
منهم تمهيد الطريق له لدى السلطان ، غى أنه كان عليه أن
يتذكر أن ادانة محمد بن عبد الله لدى السلطان كانت خطوة
واحدة لانجاح خطته .

وجدير بالذكر أن سعود كان مطبوعا على لغة الخداع ،
التي تم الاشارة اليها بكلمة (أبجدى) حيث كان عليه أن يكون
حريصا على كل ما يقوله ، كما كان عليه ألا يتوقع أن يظهر له
المتعاطفون معه شعورهم بصراحة ، بالرغم من أنهم كانوا
يلوحون بقذف الحجارة لاسقاط الطائر ، وبالتالي كان عليه

أن يكون صبورا ، وألا يتعجل نتائج جهده ، أما المقطع الثالث من القصيدة فقد كان ينبهه الى أن يتذكر رجالا آخرين كانوا في مراكز عالية ، مثل محمد بن عبد الله وأمثاله الذين قد نالوا نصيبهم من الأذى — وعليه أن يتذكر أيضا أنهم كانوا دائما محقرين ، وأنه مهما كانت مقاومته فإن الحاكم لا يقهر • وليتذكر بوري حاكم ساداني في عهد السيد ماجد ، وموير كاموانا رئيس وازيبو بجيوشهم وعبيدهم وحلفائهم ، والسامبا الذين تمردوا على السلطان ، وهزموا جميعا ، وكانوا مثلا لسقوط كل من أساء استخدام السلطة •

وليتذكر أيضا يوانا كيننج وابا زعيم الزيجو الذي خلف مويركا موانا بعد اسقاطه ، وأصبح قويا جدا — وسار على نفس النهج ، فليكن سعود صبورا وحريصا ، وعندما يحين وقت الضرب فإنه يستطيع مع مؤيديه الضرب بقوة لتحطيم نظام الحاكم الجديد •

وليتذكر أيضا مصير عبد الله مواكيثا زعيم قبيلة ديجيو الذي تحدى السيد ماجد ، فقد طالب مواكيثا بجزيرة صغيرة اسمها (مرازوى) بالقرب من بانجانى ، كحدود فاصلة بين أراضيه وأراضى السلطان ، وأعلن أنه مستقل فى أراضيه عن السلطنة • وليتذكر الشيخ سعود وما حدث له •

فقد أرسل السيد ماجد مبعوثاً يدعى حمد بن سليمان ومعه هدايا وكلاماً ودياً ، وانخدع مواكيتا بالهدايا والأسلوب المودى لمبعوث السلطان ، وقبل الدعوة ليسافر على سفينة السلطان معتقداً أنه سيقابل السيد ماجد ، غير أنه أبحرت السفينة بعيداً عن (موازوى) ثم القبض عليه فى المكان الذى ادعى أنه حدود أراضيه •

وقد فرح الشيخ سعود بن سعيد بتلك الصداقة والتشجيع الذى تم التعبير عنه فى أبيات قصيدة محمد بن أحمد ، ورد عليه بقصيدة شكر ، وقد كان المعنى الحقيقى يختفى وراء تعليماته الى قبطان قاربه يخبره أن يأخذ السفينة بأمان من زنجبار الى بمبا ، حيث يعيش محمد بن أحمد ، ويسلمه شخصياً الرسالة ، وتتضح هذه التعليمات فى خمس المقاطع الأولى فى قصيدته ، أما المقاطع الست الأخرى فقد كانت موجهة مباشرة للشيخ محمد بن أحمد وقد أكد فيها للشيخ ، أنه وضع فى خطته التخلص من الحاكم وأنه واثق من النجاح •

وفى ذلك الوقت تعددت الشكاوى فى ممباسا ضد محمد بن عبد الله ، مما أقلق السيد برغش ، خاصة ناصر بن سعيد ، أحد المستشارين الموثوق بهم لدى السيد برغش •

وعلى بن ناصر ، والوالى السابق لمباسا كان يظهران

معارضتهما لمحمد بن عبد الله إلى جانب تأييد سعود بن سعيد لهم في اتهاماتهما لمحمد بن عبد الله . وعليه أرسل السيد برغش ، على بن ناصر كوال لمباسا ، وأمر محمد بن عبد الله أن يعود لوظيفته القديمة ، ويقدم نفسه في زنجبار ليبري ،
ساحته .

وقد اصطحب محمد بن عبد الله في رحلة طبية شريف أنور الذي كان يمارس السحر بجانب الطب ، وكان عليه أن يثبت إخلاصه لسيده بكفائه في السحر ، وبمواجهة محمد بن عبد الله باتهامات سعيد بن سعيد في حضور السلطان ، استطاع محمد بن عبد الله بلباقته وذكائه ، أن يدفع عن نفسه عددا من تلك التهم ، حيث ذكر أنها كانت نتيجة المؤامرات والخداع والحقْد من الرجال الذين كانوا يظهرون ولاءهم للسلطان ، بينما هم خونة في حقيقتهم وأتباع للشيخ مبروك .

ونتبه سعود إلى التحول في الموقف واحتمال أن يتحول ضده وسرعان ما وقف ، وأشار بأصبعه إلى التهم محمد بن عبد الله ، وصاح « سيدي السلطان هذا الرجل يستخدم السحر » : انه يا مولاي في هذه اللحظة تبدو عليه جاذبية ساحرة ، وكان هذا اتهاما جريئا ، ولكنه كان ناجحا ، فأمر

السلطان على الفور أن يعترف محمد بن عبد الله أو يدفع بادعاء سعود . وهكذا أجبر على الاعتراف ، بأنه كان يرتدى عددا من الأثواب الجذابة الساحرة التي صممها له طبيبه ، وانكشف محمد بن عبد الله ، وأمر السلطان بعزله ، وسر الشيخ سعود وأعوانه لنجاح خطتهم ، وعبر عن هذا الشعور بقصيدة وأرسلها إلى صديقه محمد بن أحمد .

وأقلق ذلك الوضع محمد بن الله حيث فقد مركزه ، وفقد ثقة السلطان ، كما اعتقد سعود أن محمد بن عبد الله لن يعود إلى ممبasa ، وفي اللحظة الأخيرة توسط صهره محمد بن علي باكشمر لدى السلطان ، وطلب العفو عن محمد بن عبد الله ، وقبل السلطان الالتماس ، وسمح لمحمد بن عبد الله بالعودة إلى ممبasa برغم معارضة أغلبية شعب ممبasa ، وكذلك بالرغم من النصيحة التي قدمها جمدار لالا (قائد الحامية السلطانية في زنجبار) بعدم عودة محمد بن عبد الله إلى ممبasa ، وبمجرد أن نزل محمد بن عبد الله من قاربه في ميناء ممبasa ، واتخذ طريقه إلى الحصن وسط حشد المتفرجين اخترق آذانه أغنية شعبية ، ومنذ ذلك الحين بدأت حياته السياسية تتدهور ، ويرجع

السبب في ذلك الى غطرسته وتكبره ، فحطم نفسه بنفسه ،
وخذل جمدار تانجيه القائد الحاذق الماهر الذكر ، وكون لنفسه
أعداء ، وأغضب السلطان ، واختلف مع رجال البلاط ، وجعل
من نفسه انسانا مكروها من الشعب ولم يبق إلا أن يكمل الشعب
تخطيط الباقي من حياته السياسية •

مسقوط العقيدة

بعد عودة محمد بن عبد الله من زنجبار الى ممباسا أصبح أكثر طغيانا معتقدا أن السلطان لن يعير التقارير التى ترسل ضده أى اهتمام ، فصب جام غضبه على شعب ممباسا ، وانتهاز الفرصة للاستاءة فى معاملة الشعب ، وسئم شعب ممباسا من كثرة التوجه بالشكاوى الى زنجبار ، غير أنهم تمكنوا من الحصول على تأييد مصطفى بن الصديق القديم لمحمد ، ومستشاره ، والذي كان فى وقت من الأوقات جمادار تانجيه ، وبمساعدة مصطفى تمكنوا أيضا من الحصول على تأييد الحرس . وكثرت الشكاوى ضد محمد بن عبد الله ، وأدرك السلطان أن الأمر أصبح خطيرا جدا ، وأنه يجب استدعاء محمد بن عبد الله واتخاذ اجراء حازم ضده ، فقرر حرمانه من وظيفته ، وعليه تم ايفاد محمد بن سليمان البوسعيدى وزير السلطان الى ممباسا لاعلان عزل العقيدة . ووصل الوزير يوم ٢١ جمادى الثانية ١٢٩١ هـ (٥ أغسطس ١٨٧٤ م) وقابل كبار الدولة ، والوالى سالم بن خلفان ، ولد شبيهه ، واشتكى الجميع بمرارة من الاجراءات التعسفية التى فرضها عليهم العقيدة ، واستمع الوزير لتلك الشكاوى مدة يومين ، استعرض خلالها الموقف ،

وفي اليوم الثالث طلب من محمد بن عبد الله أن يحضر وترأس العقيدة حاشيته بأكملها ، وقدم نفسه الى مكان الاجتماع ، ومعه حارسه ، وحينئذ قرأ الوزير قرار السلطان بعزله ، وسلمه الوثيقة الدالة على ذلك ، فأجاب العقيدة بأنه سيطيع أوامر سيده السلطان ، غير أنه طلب اجازة ليعود الى الحصن ليسلم المفاتيح رسميا ، وسمح له بذلك .

ولم تكن في نيته تسليم المفاتيح ، وعندما دخل الحصن أمر باغلاق الأبواب ، ودعا رجله الثاني سعيد بن علي الدوان . وبعض الرجال الموثوق فيهم للاجتماع به في غرفته الخاصة ، حيث شرح لهم خططه للانتقام . وقال انه متأكد من أن مصطفى ابن جمدار نانجيه وقائد الحرس كانا أساس هذه الحركة . وعليه فانه سيحاربهم في القلعة حتى يستولى عليها كاملة ، ويسيطر عليها .

ونشب صراع بين رجاله والحرس : حيث اتخذ كل فريق جانبا في الحصن ، يتراشقان بالنار . ولم يقلق الوزير محمد بن سليمان والوالى سالم بن خلفان بخصوص ما يجري في مهباسا التي شهدت أكثر من متمرّد ضد السلطنة ، وأخذ مكانه في القلعة ، وتحدى كل المحاولات للعزل ، غير أن الوزير والوالى كانا متخوفين من عاقبة استيلاء محمد بن عبد الله على

الحصن ، وغضب السلطان عليهما من جراء ذلك فأرسل بعض قيادات الأهالى يطلبون من محمد بن عبد الله وقف القتال ضد البلوش ، غير أنه لم يستمع اليهم واستمر فى القتال مصمما على سحق الحرس ، ولكن الحرس كانوا رجالا مدربين وقتلرين على الصمود ، وفى النهاية طلب الوزير والوالى من محمد بن على بن منصور الهنائى أن يستخدم نفوذه لإقناع العقيدة بوقف القتال ، وجدير بالذكر أن محمد بن على بن منصور كان من أعيان البلاد الذين نالوا ثقة العقيدة ، بالرغم من عدم تأييده للأساليب العقيدة . ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح ، إذ رفض محمد بن عبد الله أن يفتح أبواب القلعة خوفا من الأسر .

وفى ذلك الوقت وصلت تعزيزات لقوات الوالى من ماليندى وتاكونجو وجازى ، وطيرت أخبار الى زنجبار بسيطرة محمد بن عبد الله على القلعة مما أثار غضب السيد برغش لهذا التحدى السافر ، غير أنه لم يكن من السهل أن يستدرج الى حصار للقلعة ، كما فعل سلفه حيث طرد محمد بن عبد الله بالقوة ، وكان الموقف يتطلب تراشق النيران من كلا الطرفين الأمر الذى قد يؤدى لخسارة فى الأرواح لكلا الطرفين وبعض الخسائر المادية الجسيمة للقلعة والمدينة .

ولذا قرر السلطان أن يستدرج محمد بن عبد الله خارج
ملجئه بخطة ذكية ، فطلب من صهره محمد بن علي باكشمر
الذى كان قد توسط لدى السلطان بالعفو عن محمد بن عبد الله
عندما كان في زنجبار ، بأن يتوجه الى ممباسا لاقتناع محمد بن
عبد الله بالتعقل ، ووصل باكشمر الى ممباسا ، وبعد مناقشة
طويلة مع العقيدة أملا في أن يقنعه بأن السلطان لم يعد
يرغب في عزله ، وطلب منه أن يوقف القتال مع الحرس ، وأن
يفتح أبواب القلعة ، وقد لعب عامل الوقت دورا هاما في
انقاذ الموقف ، ومن الصعب أن نفهم كيف أن العقيدة ضل
نفسه باعتقاده ، أن السلطان سينسى كل أفعاله السابقة ،
وبينما كان يعتذر رسميا للوالى طرد الحرس من الحصن وبعثهم
في المدينة ، وعندما غادر الوالى والوزير ممباسا ليقدموا تقريرهم
للسلطان في زنجبار ، رفض محمد بن عبد الله أن يصطحبهما
الى زنجبار خرفا من السجن ، وأرسل أخيه سعيد بن عبد الله
ليقدم الاعتذار نيابة عنه للسلطان .

ولم يعد السيد برغش يشك في حقيقة التقارير التى
ذكرها الشاعر سعود بن سعيد ضد العقيدة ، وقرر طرد
محمد بن عبد الله من الحصن ، وعزله من وظيفته .

وفي أوائل يناير عام ١٨٧٥ أرسل السيد برغش الى ممباسا

ثلاث سفن محملة بالجنود العرب العمانيين تحت رئاسة الأمير سيف آل عمرو وبصحبة مطر بن محمد ، وكانت لديهم أوامر بإخراج محمد بن عبد الله من الحصن ، وبعددم استخدام القوة إلا اذا دعت الضرورة الى ذلك •

وهبطت القوات في كيلندنى وتمركزت في ثكنات بالقرب من نويافكو ، على بعد مئات قليلة من الiardات من الحصن ، وأدرك محمد بن عبد الله الهدف من ذلك الانزال ، فأصدر أوامره لرجاله في المدينة أن يتجمعوا في الحصن في تلك الليلة بأسلحتهم •

وفي الصباح التالى ١٤ يناير ١٨٧٥ م خرج من الحصن بقواته وهاجم قوات السلطان في الوقت الذى أصدر فيه أوامره بحرق مدينة ممباسا •

ودار صراع وحشى بين قوات العقيدة وجيش السلطان ، وان كانت قوات الأخير أكثر مهارة من قوات العقيدة ، وقد ساندت جيش السلطان بقيادة سيف آل عمرو وقوات والى ممباسا ، حيث هاجموا قرأت العقيدة وشقتوهم ، وأصابتهم بخسائر جسيمة ، مما اضطر بعضهم الى العودة الى الحصن ، حيث كان العقيدة يحتوى هناك ، وقد عانت قوات السلطان من بعض الخسائر ، وكان من بين الجرحى الشيخ محمد بن على بن منصور الهنائى الذى دافع بضراوة عن بيت الجمارك

ضد قوات العقيدة ، ثم وصلت تعزيزات أخرى من قوات السلطان في (ماليندى) بقيادة والى المدينة سليمان بن محمد ، كما وصلت تعزيزات من تاونجر بقيادة سالم بن خميس نيابة عن أخيه الشيخ راشد بن خميس ، بالإضافة الى بعض الرجال المسلمين من مؤيدى المتمرد السابق الشيخ مبروك بن راشد المزروعى ، الذى تصالح فيما بعد مع السلطان ، ووجد محمد بن عبد الله نفسه محاصرا ، وان كان محصنا فى القلعة ، فرفض أن يستسلم واضعا فى اعتباره أنه سبق وأن حوصر الحصن عدة مرات ، غير أن الحصار لم يكن مثمرا •

ونظرا لموقع الحصن المنيع بعث القائد بالموقف الى زنجبار ، وكان السيد برغش يتبع أسلوب السيد سعيد فى المسائل المتعلقة بممباسا ، فاستشار بريطانيا ووضع الأمر كله أمام مستر «بريديركس» المستشار العام فى زنجبار ونائب الممثل السياسى لصاحب الجلالة ، وبناء على توصيته تم ايفاد ضابطين الى ممباسا للسيطرة على الموقف ، وذلك باعطاء الفرصة لـ محمد بن عبد الله لترك الحصن بسلام ، دون قتال إلا اذا تطلب الأمر •

وعند وصولهما الى ممباسا أرسل القائد مترجمه عيسى مرعى بطلب رسمى لـ محمد بن عبد الله يطلب منه مغادرة الحصن ،

وإلا فسيتم تدميره ، ورفض محمد بن عبد الله الانذار ، وقال :
انه ولد في الحصن ، وعين حاكما فيه ، وعاش حياته بين
جدرانها ، وأن أحدا لا يستطيع أن يعرف كيف يتعامل مع
شعب ممباسا ، كما يعلم هو ، وأعلن أنه لن يسلم الحصن او
المنصب ، وعاد عيسى مرعى بتلك الاجابة ، وأخبر القائد بما
سمعه من محمد بن عبد الله ، فأمر القائد بتهديد مبدئي بضرب
الحصن ، ورد محمد بن عبد الله على النيران بالمثل ، وتم تبادل
القذائف بين الجانبين ، ووقعت خسائر مادية جسيمة للحصن ،
كما سقطت بعض الدانات على جدران الحصن فاخترقت بعضها
وتبين محمد بن عبد الله بأنه في موقف أضعف من خصمه ،
حيث كان من السهل على قذائف خصومه أن تخترق التحصينات
الداخلية في الحصن ، بينما كانت ضرباته لا تصل الى سفن
السلطان ، ثم قرر محمد بن عبد الله أن يشعل مخزن الذخيرة
بالحصن ، فيهدم الحصن على من فيه ، غير أن نائبه سعيد بن
على الدوان عارض الفكرة ، وقال له : انه من الأفضل أن
يستسلم بشجاعة ، أو يرفع علما أبيض للهدنة ، بدلا من أن
يضحى بالنساء والأطفال الذين يعيشون في الحصن .

وأمام هذا الأمر أعان محمد بن عبد الله استسلامه ،
وأراد أن يتوصل الى اتفاق مع القائد البريطاني ، وثار في
نفسه عدة تساؤلات ، هل سيقبل القائد البريطاني اعتذار

محمد بن عبد الله أم لا ؟ هل سيتركه يعيش في الحصن ويرجو
السلطان أن يعفو عنه أم لا ؟ أو على الأقل سيتركه في ممباسا
ويحمل اعتذاره للسلطان ؟

غير أن القائد البريطاني تجاهل كل هذه النقاط . وقال
له : أن لديه أوامر بالقبض عليه وترحيله الى زنجبار كأسير .
وهناك يستطيع أن يشرح للسلطان شخصيا ما حدث ، وللسلطان
أن يقرر ما يتخذه من إجراءات في ذلك الشأن . واصطحبوا
معهم محمد بن عبد الله الى زنجبار ، وفي هذه الأثناء كان
الشاعر الشيخ سعود نشيطا ، فبمجرد أن سمع عن ارسال
البعثة العسكرية لمباسا ، أسرع وطلب من السلطان أن يسمح
له أن يزور عائلته في ممباسا ، وسمح له بذلك ، فتمكن من
حضور لحظات الانتصار على محمد بن عبد الله . وتمنى
أن يواجه عدوه وجها لوجه ، غير أن وجود البعثة العسكرية
حال دون ذلك ، وعلى ظهر السفينة التي كانت تنقل محمد بن
عبد الله اقترب الشيخ سعد من القبر الذي احتجز فيه محمد بن
عبد الله ، وتبادل الاثنان الكلمات القاسية ، حتى صدرت
الأوامر بمنع تقابلهما على سطح السفينة مرة أخرى .

ولم يتمالك الشيخ سعود نفسه ، فعبر عن فرحته بهذا
النصر ببعض الأبيات ، وتتشير هذه الأبيات الى كثير من

العادات العربية والسواحلية ، التي يصعب ترجمتها الى اللغة الانجليزية ، بنفس الأسلوب والطريقة التي عبر بها الشيخ سعود في فرحته . وفي زنجبار حاول محمد بن عبد الله أن يستسمح السلطان شارحا له أسباب تصرفاته ، غير أن السلطان ارتأى ، أنه لا يوجد عقاب له أكثر من ابعاده الى « ميكل » التي عاش فيها لمدة اثنتي عشر عاما قبل وفاته ، وقد حاول أن يعود الى ممباسا طالبا العفو من البلاط السلطاني في زنجبار غير أنه لم ينجح في مساعيه .



منظومة (والعقيدة)

من المعلوم أن قصص التاريخ السواحلى تدون فى صورة قصائد ، وقصة العقيدة مثلها فى ذلك مثل القصص التاريخية دونت فى شكل قصيدة من نوع خاص يطالـق عليه بالسواحلى « أوقندى » •

ومؤلف هذا العمل هو عبد الله بن مسعود بن سالم المزروعى الذى ولد عام ١٢١٢ هـ (١٨٩٧ م) وتوفى عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) فى تاكونجو ، وقد ألف العديد من الأعمال أهمها (الحديثى يابرسيس والحديثى ياهسينا) وهى من الأشعار الرومانية ، وتدور فكرة منظومة « والعقيدة » فى بعض جوانبها عن حياة المؤلف نفسه ، حيث ان والده مسعود بن سالم كان أحد المزروعين الذين تم ابعادهم الى بندر عباس ، فى عهد السيد سعيد بن سلطان ، مما عارض فى تعيين عبد الله بن مسعود فى وظيفة العقيدة فى ممباسا ، وهى الوظيفة التى كانت خاصة بقبيلة المزروعى •

وجدير بالذكر أن هذه المنظومة لا تتبع التكوين الشعرى الصحيح غير أن ايقاعها درامى ، كما أنها ليست فى

مستوى روائع الأدب ، وان كان مؤلفها من مشاهير مؤلف الأغاني ، غير أن المنظومة تفتقر الى الاستمرارية والجازبية ، وبالتالي فانها لا تقف في مستوى أشعار ميوكا بن حجي : أو أشعار الشاعر سعود بن سعيد ، أو أشعار محمد بن أحمد وبالرغم من ذلك فان هذه المنظومة تعتبر سجلا رائعا لحياة العقيدة وبالتالي فانها تستحق تلك المكانة التي تتمتع بها .

ترجمة العقيدة

— لقد تجمع حشد من أتباع الساحر ، وجلبوا معهم حبالهم
المخرزة •

— فانتظر أن تأتي قبائل الروح الحارسة لهذا الغريب العفن •

— أيها الساحر كن مستعدا لملاقاة هؤلاء الذين يثبون
لسيوفهم •

— بالسيوف المسلولة وبالخناجر ترقص واليكنيدينى •

— وهناك يقف الغريب ليلاحظ ما يحدث •

— والآن يا راقص ميورا ، دعنا نتلاقى في لقاء سريع •

— يا راقص ميورا فكروا ولا ترقصوا رقصات قديمة بالية •

— رقصات يرقصها رجال عداون جسورون •

— ولكن قفوا في العراء وأظهروا شجاعتكم التى يسجلها
التاريخ •

- عندما يهب فجأ وقف الرجال مندهشين •
- وأخذ يلحق شفتيه بينما ترعى الماشية المتى استولى عليها •
- والآن فان حاميته مويلى تتدمر •
- عندما نهب « متونج » تصدى كل أعدائه •
- ودعم العبارات وتم خديعته من كل مكان •
- وبسقوط مويلى لسعيد انتهى كبرياؤه •



- هل يكون لرجل ملء بالصكمة ، لدرجة لا تصدق ، أن يخذع •
- أيها الحشرات (البراغيث) بأكاذيبكم الغبية تخدعون أنفسكم •
- أين هو ؟ لقد ذهب النسر بصغاره •
- لقد أرسلت لها الهدايا والنعائب لخطب ودها •
- أرسل لها الثيلاان والأوشحة الحريرية المشغولة بالذهب المطرز •

- لكن مهورا لا يرضى بالزواج منه •
- البنات الطيبات لا يتزوجن في السر •
- فالعروس يلزمها أن ترقص في الوقت الساطع •
- حيث ترى جمالها ونضارتها •
- وأعلنت مهورا بروح الفخر والتعالى •
- من الرجال لا يوجد من هو وسيم ويستحق الاعجاب •
- فأنا سأتزوج نامتا أو مهورا عمر •
- وهدايا العشيق من الملابس والعجائب والتحف •
- رفضتها هذه العروس بخفة •
- رافضة أن تلبس الخلخال الثقيل غير الظاهر للعيان •
- وقالت بأسف واحتقار •
- بالرغم من الهدايا والمهر المقدم لها •
- أنا لن أتزوج بهذه السرية •

— هذه المرأة لن تتزوج إلا رجلها •

— رجلها الحقيقي هو الشيخ ذو الثمان رعوس •

— تعالوا وزغوا هذه الفكرة ، اذا كنتم تشكون أنها تقرأ •

* * *

— كنت الثور الوحيد فى القطيع فى الزريبة يعرف الطريق •

— وبعين مليئة بالحزن والأسى رحلت عن عشيرتى ذلك اليوم

— ولكن فجأة سمعت أصدقائى ورعوسهم عارية تحت أشعة الشمس الحارقة •

— ورأيتهم قادمين والعبودية والذلة تربطهم فى رعوسهم الى أقدامهم •

* * *

— أيها المبعوث ، لا تتلكأ ، اذهب لهذا الرجل ذى المكانة •

— اذهب الآن ولا تنتظر ، تعجل فانه صديق لى •

— وقل له لا تقلق ، اذهب حيثما تشير البوصلة •

- ربما تكون منظماتنا هادئة الآن غير أن أهدافنا غير مزورة •
- مرحبا بك شيخ مسعود ، هذا ما أقوله لك •
- وبالرغم من معرفتك للسفسه والمكر والدهاء فان الحديث يجب ألا يكون صريحا •
- تذكر أن الساعة لا تبطئ ، ولكن مصلح الساعات كيف يعمل بحرارة •
- ربما تكون منظماتنا هادئة الآن ، غير أن أهدافنا غير مزورة
- فكر للحظة ، تذكر كيف مر السابقون في طريقهم •
- رجال من المشاهير والعظماء وكيف انتهوا ؟
- مثل الأطفال الذين يرقصون ساعة فانهم لا يرقصون طوال الليل •
- ربما تكون منظماتنا هادئة الآن ، غير أن أهدافنا غير مزورة
- « موميركا مواتا » « وبورى » كان لديهم زنوج كثيرون •
- كانوا عبيدا لهم حقا مع « واسامبا » في طريقهم •

- وعندما بدأ العدو وظهرت لى نهايتهم دعوت لهم •
- ربما تكون منظمتنا هادئة الآن ، غير أن أهدافنا غير مزورة
- أين الآن « مواتا كنج و ابا » ؟ لقد انتهى صوته الى الأبد •
- تذكر العاصفة فى الميناء عندما زارت الأمواج وأزبدت •
- أيعرف الابن أباه ولم يعرف الرجل منزله •
- ربما تكون منظمتنا هادئة الآن ، غير أن أهدافنا غير مزورة
- الأسد يثير الذعر مركبا بقف بقوة منفرج الساقين •
- فى مرمى كان القانون كلمته ولم يعترض طريقه أحد •
- غير أن أسياده نصبوا لهم الشراك أصبحت موازى بقراءاته
- ربما تكون منظمتنا هادئة الآن ، غير أن أهدافنا غير مزورة
- أبناء ماتاكا فى مدينة بقة عظماء وكبار •
- كانت أراضيهم شاسعة ومدنهم كبيرة •
- غير أنهم وقعوا فى الحقد وتتألم لهم اليوم •
- ربما تكون منظمتنا هادئة الآن ، غير أن أهدافنا غير مزورة

- أيها المبعوث الذى أرسل الى أخذ اجابتي •
- يا من أتى عند صديق عزيز له محبتي •
- لا خوف أن تفقد النسيم ولا خوف أن تهدىء من الرياح
- أخبره أن الزيف انتهى وهذا واضح لنا جميعا •
- انتظر الرياح الشمالية الغربية للاقلاع الى مانجا بوانى •
- ارفع شراكك العظيم واجعل الشراع الرئيسى مستعد •
- ابحر ولا تخف من الرياح ؛ ووجه السفينة ولا تسترح حتى « مكوكوتونى » •
- وعند شاطئ الجزيرة لا تنس أن تطوى الشراع •
- وعند أرض الرياح « نجيزى » تأكد أنك تسير مستقيما ولا تخف •
- اذهب فى قناة « ميونى » فهذا طريق السلامة لك •
- ثم سر محاذيا للشاطئ وابحر الى « مجولى » •
- ابحر الى شيخ مدينة مجولى وشريف العرب ويلطف •

- اعطه كلمتنا بأن النهاية اقتربت •
- وعندما تذهب للشاطئ لزيارة الشيخ المعروف •
- احترامه جدا ولا تأت بعمل يضايقه •
- فهو ينشد محمد ذلك الرجل المشهور بمدينةتنا •
- بالرغم من أن منظماتنا هزمت فاننا مخلصون لولائنا •
- يا شيخ ممباسا اسمع لقولى •
- أنت تتعجل دقات الطبول عندما يضربها الموسيقيون •
- وبالرغم من أن منظماتنا هدأت فان النهاية ليست هنا •
- اننى أختار البنود الرئيسية للعمل بدقة فعملى ليس بدائى
- غائنا لم آت للريح ولكنى رحلت بعرض الشاطئ •
- اننى أنشر الأخبار مثل كبير الخطباء عن الماضى •
- وبالرغم من أن منظماتنا هدأت فلا نهاية للزيف هنا •
- اخوانى والأطفال قد يرقصون الليل •

- غير أنه لا يوجد ماء لسقى الأزهار ولا للطعام •
- ففى اليوم الذى أصل فيه الميناء وأجعل السفينة تسير بسرعة •
- سوف ألهب الصراع باللحن الجميل وأضع نهاية للزيف •
- ان أشياع ساحرنا مسلحون تماما •
- وعند سؤالهم أين تذهبون يقولون « الى القافلة » •
- وعندما نطلب منهم الانتظار يعترضون ويقولون ، اليوم هو الذى نخطط له •
- ورغم زوال مصدر الألم غان نهاية الزيف ليست هنا •
- راشد وسليمان لم يتمكننا من البقاء فى الحصن •
- فقد كانا مثل الشمس المحرقة ولا يخشيان شيئا •
- كان لديهما أسلحة ومدافع من كل نوع •
- لكنهم أتوا فى العراء وكانت هذه نهاية الزيف لهم •
- كم من خدعة دبروها ، وكم من فخ أعدوه •

— فقد أحضر الليمون للعصفور غير أن العصفور هرب
من العش •

— ولم يبق للحكام غير الاضطرابات •

— فبالرغم أن منظماتنا هدأت غلا نهاية للزيف هنا •

* * *

— لقد قتل سهم مسموم في الربيع •

— لقد رمى بالرماح والسهم مثل سهام ساي •

— انه يبحث عن زرقة الغريق ، انه يعرف انه ميت •

— من هذا الذي فقد اليوم ؟ لا عودة الى « كونجويا » •

— من هذا خارج المعروف برشاويه وسحره المفقود •

— ساحر ، ان لم يكن مشعوذاً ، فالتنهر قد عبر الى دونجا

— مثل النسر المصاب بطلقة ، وطار من شدة الذعر •

— انه لا يذهب أبدا الى جنوا ، انه بعيد عن « كونجويا » •

— لقد بدأ قاربهم يسرب المياه ولا يعرفون انه يغرق •

- الرفيق وصهره يفكرون في الاعتذار •
- غير أن قاربي الخشبي اصطدم وتحطم ، انه يغرق الآن
- في عهد « الوطن لاتا » الذي انحنى له العرب قبل الاسلام
- وضع الرفاق أيديهم علينا وأظهروا لنا من العذاب ألوان
- والآن بعد فترة قصيرة فانتنا محجوبون في معركة حربية
- قصر كسرى أجر جزءا جزءا •
- لقد تم ضربه بالثعبان وأقدامه تشققت •
- لا تعتقد أن هذه نكتة أو خفة •
- فقد تركوه بظماً ومجراره بدأ يشعر بالحمى والموت والعذاب •
- قصر كسرى أجر جزءا جزءا •
- وجهه أصبح شاحبا وعيناه وسعت من الخوف •
- لأنه يعلم أنه بارادة الله قدره في الآخرة •
- ليكن مصيره الجحيم ولا يقرب المغفرة أو النجاة •

- قصر كسرى بيع جزءا جزءا •
- لقد ضرب بالسهم من الخلف ومن الأمام •
- وبمثل ضربة السيف القاتلة ضربته كنغمة عاصفة •
- فليحق ولا يعيش للنهاية ، فليعش وهو يتحمل الآلام
كالبيغاء المذبوح •
- قصر كسرى أجزأ جزءا جزءا •



تم بحمد الله

رقم الإيداع: ٩٤/١٨٣